



الاقتباس السينمائي في أعمال غسان كنفاني في ضوء نظرية دبورا كارتمل

رواية "ما تبقى لكم" أنموذجا

Cinematic adaptation in the works of Ghassan Kanafani in light of Deborah Cartmel's theory; The novel "Ma Tabaqqa Lakom" as a model

محمود حيدري*

أستاذ مشارك بجامعة شيراز، إيران

Heidarimahmood81@gmail.com

يوسف نظري

أستاذ مشارك بجامعة شيراز، إيران

nazari.yusuf@gmail.com

زينب موسى زبون

طالبة الدكتوراه؛ جامعة شيراز، إيران

zm9313374@gmail.com

ملخص:	معلومات المقال
تهدف الدراسة الحالية الموسومة بعنوان "الاقتباس السينمائي في ضوء نظرية دبورا كارتمل رواية "ما تبقى لكم" أنموذجا" إلى دراسة مستويات الاقتباس السينمائي في الفيلم الروائي الطويل "السكين" للمخرج خالد حمادة والمتمتجة سنة 1971م والمقتبس من رواية "ما تبقى لكم" للكاتب الفلسطيني غسان كنفاني، واقتصرت الدراسة على دراسة مستويات الاقتباس المباشر والإبداعي متخذة من المنهج البني التكامل الذي يجمع بين الأدب المقارن والدراسات السينمائية والدراسات الفلسطينية منهجا للدراسة، وقد أسفرت الدراسة عن نتائج منها: أنه حضر الاقتباس الوفي بكثافة في فيلم "السكين" المأخوذ من رواية "ما تبقى لكم"، ليدل على التزام الفيلم بتوصيل رؤية مؤلف الرواية بينما أظهر هذا الفيلم السينمائي، السياق السياسي والاجتماعي للمجتمع الفلسطيني.	تاريخ الارسال: 2025/01/04 تاريخ القبول: 2025/02/22 الكلمات المفتاحية: ➤ الاقتباس ➤ غسان كنفاني ➤ ما تبقى لكم ➤ دبورا كارتمل
Abstract :	Article info
The current study, entitled "Cinematic Adaptation in Light of Deborah Cartmel's Theory: The Novel "Ma Tabaqqa Lakom" as a Model" aims to study the levels of cinematic adaptation in the feature film "The Knife" directed by Khaled Hamada and produced in 1971, adapted from the novel "What's Left for You" by the Palestinian writer Ghassan Kanafani. The study was limited to studying the levels of direct and creative adaptation, adopting the integrative interdisciplinary approach that combines comparative literature, cinema studies, and Palestinian studies as a method of study. The study yielded results, including: faithful adaptation was present in abundance in the film "The Knife", taken from the novel "What's Left for You", indicating the film's commitment to conveying the vision of the author of the novel, while this film showed the political and social context of Palestinian society.	Received 04/01/2025 Accepted 22/02/2025 Keywords: ➤ Adaptation ➤ Ghassan Kanafani ➤ "MaTabaqqa Lakom" ➤ Deborah Cartmel

1. مقدمة:

ولد غسان كنفاني في عكا عام 1936 م، وعاش في يافا، إلا أنه اضطر إلى النزوح عنها بعد نكبة عام 1948 م، تحت ضغط القمع الصهيوني، وأقام مع ذويه لمدة قصيرة في جنوب لبنان، ثم انتقل مع عائلته إلى دمشق. اشترك منذ شبابه المبكر في النضال الوطني، وبدأ حياته العملية معلماً للتربية الفنية في مدارس غوث اللاجئين الفلسطينيين (الأونروا) في دمشق، ثم انتقل إلى الكويت عام 1956 حيث عمل الرسم والرياضة في مدارسها الرسمية. وكان في هذه الأثناء يعمل في الصحافة، كما بدأ إنتاجه في الفترة نفسها؛ إذ كان يعمل في الصحافة، وبدأ أيضاً إنتاجه الأدبي. (كنفاني، 1987: 7)

كتب كنفاني من الروايات "رجال في الشمس" عام 1963 م، و"ما تبقى لكم" عام 1966 م، و"أم سعد" عام 1969 م، و"عائد إلى حيفا" عام 1970 م، و"الشيء الآخر"، وقد صدرت بعد وفاته في بيروت 1980 م، و"العاشق الأعمى والأطرش"، برقوق نيسان، وهي «روايات غير كاملة نشرت في مجلد أعماله الكاملة». (المصدر نفسه، 8)

ولعل أدب غسان كنفاني مثال حي للواقع (كنفاني، 2000: 133) الذي له خصوصيته الشديدة المتميزة؛ لارتباطه بالقضية الفلسطينية، وتعبيره عن المرحلة التاريخية التي مر بها الشعب الفلسطيني بعد النكبة، ولتجربته الحياتية المريرة بعد المغادرة القسرية من الوطن إلى المنفى، ثم المحاولات البائسة للعودة إلى الوطن، والحقبة الزمنية التي كتب فيها غسان أعماله تحتل أن تنقسم إلى مرحلتين: (توفيق، 2014: 15)

1- المرحلة الأولى: تشكيل الهوية ويبدأ من عام 1956 م، وينتهي مع نهاية عام 1965 م، وهو العام الذي انطلقت فيه شرارة الثورة الفلسطينية، ومن سمات المرحلة الأولى أنها حملت سمات البحث عن الهوية، ومعرفة الإمكانات الذاتية، وغلبت عليها تجليات التجربة الوجودية، ومحاولة خلق صراع متكافئ بين الحياة والموت.

2- المرحلة الثانية: ويمكن حصرها ما بين عام 1966 م إلى عام 1972 م، وهو عام وفاته (المصدر نفسه، 17) وشهدت المرحلة الثانية تطوراً كبيراً في تجربته، فقد بدأ تيارات التحرر تعصف بالؤلف من خلال التحرر الكبير للأفكار التي سادت في هذه الفترة، إذ بدأت الأفكار تنحو منحى التمرد على الواقع الذي يعيشه غسان.

إشكالية البحث:

إن علاقة السينما بالرواية تعود إلى سنوات بعيدة، وتلك العلاقة تتمثل في اقتباس النص الروائي وتحويله إلى فيلم سينمائي، وتلك عملية معقدة ودقيقة. فمن ناحية، يجب على صناع الفيلم نقل جوهر القصة والشخصيات والحبكة إلى الشاشة الكبيرة، مع الحفاظ على العناصر الأساسية التي جعلت الرواية محبوبة لدى القراء. ومن ناحية أخرى، يجب عليهم أيضاً إضافة لمساتهم الإبداعية ورؤيتهم الفنية الخاصة لجعل الفيلم عملاً مميزاً وفريداً. (الأزدي، 2018: 22)

ورواية "ما تبقى لكم" هي رواية للأديب الفلسطيني غسان كنفاني، وهي التجربة الثانية للأديب في عالم الرواية، وذلك بعد أن كتب روايته الأولى (رجال في الشمس)، وهي محاولة للخروج من الذات إلى الفعل، ومن همومه الشخصية التي أشار لها بدلالات عامة، إلى هموم شخصية منشقة عن هموم العامة.

لا شك أن الحالتين السياسية والاجتماعية تنعكسان في الأعمال الأدبية عامة، ومع غسان كنفاني نقف عند شخصية الطفل الذي وضعته وجهها لوجه مع مأساة اللاجئين (بون، 1992: 48) الأمر الذي جعله يعبر عن هذه المأساة خير تعبير، لذلك تحولت أعماله إلى أفلام سينمائية مثل رواية "رجال في الشمس" التي تحولت إلى فيلم يحمل عنوان المخدوعون، والرواية التي نحن بصدها "ما تبقى لكم" التي تحولت إلى فيلم بعنوان "السكين"، ورواية "عائد إلى حيفا" التي تحولت إلى فيلمين أحدهما يحمل نفس الاسم، والآخر بعنوان "المتبقي".

وتكمن مشكلة البحث في كيفية تحويل رواية "ما تبقى لكم" إلى فيلم سينمائي بعنوان "السكين"، عن طريق تطبيق نظرية الاستشهاد الإدراكي لدبورا كارتمل في الاقتباس، ومعرفة السياق السياسي والاجتماعي الذي ساقته الرواية والفيلم عن الشعب الفلسطيني.

أهداف الدراسة الحالية:

تهدف الدراسة الحالية الموسومة بعنوان (الاقتباس السينمائي من رواية ما تبقى لكم في ضوء نظرية ديورا كارتمل) إلى:

- 1- الوقوف على تصنيف الاقتباس السينمائي وفق نظرية الاستشهاد الإدراكي لدبورا كارتمل.
- 2- الوقوف على الاقتباس السينمائي الوفي والإبداعي من خلال فيلم السكين المقتبس من رواية "ما تبقى لكم" وفق نظرية الاستشهاد الإدراكي لدبورا كارتمل.

أسئلة الدراسة:

وفقاً لأهداف البحث، تتمثل أسئلة البحث في سؤال رئيسي وسؤالين فرعيين، فالسؤال الرئيسي يتمثل في:

- ما هي مستويات الاقتباس السينمائي في فيلم السكين من رواية "ما تبقى لكم" لغسان كنفاني وفق نظرية الاستشهاد الإدراكي؟

ويتفرع عن السؤال السابق سؤالين فرعيين:

- 1- ما مستوى الاقتباس الوفي في فيلم السكين المقتبس من رواية "ما تبقى لكم" لغسان كنفاني وفق نظرية الاستشهاد الإدراكي؟
- 2- ما مستوى الاقتباس الإبداعي في فيلم السكين المقتبس من رواية "ما تبقى لكم" لغسان كنفاني وفق نظرية الاستشهاد الإدراكي؟

2. الدراسات السابقة

اهتمت عدة دراسات سابقة بالاقتباس من روايات غسان كنفاني وتحويلها إلى أعمال سينمائية، ومنها:

- 1- دراسة بعنوان "عائد إلى حيفا": من النص الروائي إلى العرض السينمائي: دراسة في أفلمة الرواية، جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم - كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، الجزائر، فاطمة همال، (2022م):

تتلم هذه الدراسة بآليات اقتباس النص الادبي من الرواية إلى السينما، وكيفيات التحويل الفني التي تطال النص الروائي بعد اقتباسه إلى الفيلم السينمائي، من خلال البحث في الفرق بين أسلوب الرواية والفيلم، ثم اكتشاف آليات هذا التحويل من صيغة السرد إلى صيغة العرض وفي هذا البحث تم تناول رواية عائد الى حيفا لغسان كنفاني وكيف تم تحويلها الى فيلم من خلال تجربتين الاولى بالعنوان نفسه، والثانية بعنوان "المتبقي"، وهي مقارنة للدراسة الحالية، لكن تختلف عنها أن الدراسة الحالية من حيث تدرس الاقتباس السينمائي في رواية "ما تبقى لكم" في ضوء نظرية الكاتبة ديورا كارمل "الاستشهاد الإدراكي".

2- دراسة (المكونات الموضوعية في روايات غسان كنفاني - قراءة ثقافية) أحمد محمد أحمد أبو طير، رسالة ماجستير في كلية الآداب، قسم اللغة العربية، جامعة عين شمس، القاهرة، (2018م):

تكتسب هذه الدراسة أهميتها من كونها تناولت أدبياً ومفكراً فلسطينياً، لم ينل حظاً وافراً من الدراسات النقدية والتحليلية، وقامت بدراسة رواياته معتمدة في ذلك على منهج النقد الثقافي، فالنص الأدبي قبل أن يكون قيمة جمالية، هو أيضاً علامة ثقافية، لذلك تم اختيار الكاتب غسان كنفاني، حيث يظهر بوضوح في رواياته مدى صلتها بالثقافة، وكيف استمدت هذه الروايات معظم أبنيتها السردية والدلالية من تلك الثقافة، وقد أثرت في هذه الدراسة استخدام القراءة الثقافية التي تحلل الظواهر لردّها إلى مرجعها الثقافي.

وتشتمل الدراسة على حياة الكاتب وثقافته وأعماله الأدبية، ثم المكونات الموضوعية في روايات غسان كنفاني - قراءة ثقافية، على ثلاثة محاور رئيسية، أولاً: قضية الالتزام عند الكاتب ومدى التزامه بقضيته ووطنه، ثانياً: حضور الأرض والوطن ومفردات الطبيعة، ثالثاً: صورة المرأة في الأسيرة الفلسطينية، وقد توصلت الدراسة إلى ما يلي:

- يعتبر الكاتب من الأدباء الملتزمين بالأدب الثوري الذي يعبر عن قضايا شعبية وهموم، حيث مزج تجربته الخاصة بالتجربة العامة للمجتمع الفلسطيني والعربي.

- انطلق الكاتب من خصوصية تجربة الإنسان الفلسطيني بالتزامه للتعبير عنها إلى العالمية، حيث جعل من المعاناة الخاصة معاناة إنسانية شاملة، تمس كل إنسان وتنفذ ببساطة إلى ضميره، وقد ترجمت بعض رواياته إلى اللغات الأجنبية.

- صور لنا الكاتب التوحيد والتلاحم بين الإنسان والأرض في أبهى صوره، وحول الأرض والصحراء إلى كائن بشري يحمل أحاسيساً ومشاعراً تقاثل مع الإنسان جنباً إلى جنب.

3- دراسة بعنوان "جدلية الحياة والموت في روايات غسان كنفاني وإبراهيم نصر الله دراسة تحليلية"، للباحثة سمية عصام، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية، غزة، 2017م.

هذه الدراسة تتناول حياة وأعمال الكاتب الفلسطيني غسان كنفاني، مع التركيز على دراسة جدلية الحياة والموت في رواياته. يذكر المقال أيضاً تأثير الشيوعية على كنفاني، ودور زوجته الدنماركية، آني هوفر، في حياته ودراسته لأدب المقاومة في فلسطين. ويستكشف المقال أيضاً إرث كنفاني ككاتب ومناضل فلسطيني، وتأثير أعماله في الأدب والسياسة.

4- دراسة بعنوان "الهوية وسرد الآخر في روايات غسان كنفاني"، رسالة دكتوراه، للباحثة مازية حاج علي، جامعة محمد خيضر، الجزائر، 2017م:

تختلف هذه الدراسة عن الدراسة الحالية، حيث تتحدث عن استكشاف الهوية وسرد الآخر في روايات غسان كنفاني، حيث يغوص في أعماق التجارب الإنسانية المعقدة في سياق النضال الفلسطيني والعلاقات بين الثقافات، من خلال استكشاف الهوية وسرد الآخر، حيث يكشف غسان كنفاني عن تعقيدات التجربة الإنسانية في سياق الصراع والاضطراب، ويسلط الضوء على النضال الفلسطيني من أجل الهوية والاعتراف، بينما في الوقت نفسه يعرض القواسم المشتركة للبشرية التي يمكن أن تعبر الحدود الثقافية والسياسية.

هذه الدراسات السابقة توفر أساساً نظرياً وموضوعياً للدراسة، وتساعد في تحديد الفجوات أو الجوانب التي تحتاج إلى مزيد من الاستكشاف في موضوع الاقتباسات السينمائية من روايات غسان كنفاني.

3. الإطار النظري للبحث؛ نظرية الاستشهاد الإدراكي لدبورا كارتمل

إن العلاقة بين السينما والأدب عامة والرواية -بصفة خاصة- علاقة قوية متبادلة؛ حيث "يتكامل فيها اعتماد السينما على روائيين، وإنتاجات روائية، ودخول بعض الروائيين حقل الكتابة والإخراج السينمائي واستلهام الرواية للأساليب والتقنيات السينمائية، وكتابات روائية في نطاق محدود استناداً إلى أعمال سينمائية". (نعيسة، 2008: 205) دبورا كارتمل هي أكاديمية بارزة في مجال دراسات الأدب والسينما، وقد ساهمت بشكل ملحوظ في تطوير نظريات الاقتباس من الأدب إلى السينما. عمل كارتمل يشمل دراسة كيفية استخدام النصوص الأدبية كمصدر إلهام للأعمال السينمائية، وكيف يؤثر هذا الاقتباس على التجربة البصرية والسمعية للجمهور. نظرية كارتمل تركز على كيفية استيعاب النصوص الأدبية وتفسيرها عبر وسائل الإعلام المختلفة، بما في ذلك السينما. (أبوهيف، 2012: 101-123)

وتقسم كارتمل الاقتباس إلى ثلاثة أنواع رئيسية تتمثل في: (Cartmel, 2012)

- "الاقتباس المباشر أو الوفي: في هذا النوع من الاقتباس، يتم الحفاظ على معظم عناصر النص الأصلي، بما في ذلك الحبكة والشخصيات والحوار. الهدف من هذا الاقتباس هو نقل النص الأصلي بأمانة إلى الشاشة أو المسرح.

- الاقتباس القياسي: في هذا النوع من الاقتباس، يتم تقليل أهمية المعرفة البين النصية للمشاهد. ويتم استخدام نص مألوف في ثقافة معينة وتقديمه في ثقافة أخرى لجعل المحتوى أكثر جاذبية للجمهور الجديد.

- الاقتباس الإبداعي أو الحر: في هذا النوع من الاقتباس، يتم التركيز على الإبداع الفني أكثر من الالتزام الحرفي بالنص الأصلي. قد يتم تغيير الحبكة أو الشخصيات أو الإعدادات لتناسب الرؤية الإخراجية أو لتقديم رسالة معينة.

وتُعدّ نظرية الاستشهاد الإدراكي التي قدمتها كارتمل مهمة في الممارسات الأكاديمية الحديثة، حيث تُستخدم لفحص كيف يعيد صناع الأفلام تفسير النصوص الأدبية بشكل يتجاوز النقل الحرفي. هذا المفهوم يعزز من قدرة الباحثين

على تحليل كيف يتم إدماج الأساليب الأدبية في السينما وتفسيرها بطرق جديدة، مما يساهم في تقديم رؤى أكثر تعقيداً حول التفاعل بين النصوص والأفلام. (عبد الناصر، 2015: 33-55)

وسيتم تطبيق هذه النظرية على فيلم "السكين" المأخوذ من رواية "ما تبقى لكم"، تلك الرواية التي تمثل الرواية - حسب قول مؤلفها: "قفزة من حيث الشكل، لكنها أثارت بنفس الوقت تساؤلات بالنسبة لي، لمن أكتب أنا؟ هذه الرواية قلة يستطيعون من بين قرائنا العرب أن يفهموها. فهل أكتب من أجل أن يكتب أحد النقاد "أني أكتب رواية جيدة" أم أنا أكتب من أجل أن أصل إلى الناس؟". (خليل، 1989: 111)

4. عينة البحث وطريقته

1-4. رواية ما تبقى لكم

تحدث الرواية عن أسيرة فلسطينية من غزة، وفدت إلى غزة من مدينة يافا بعد أن استولى اليهود على المدينة، وأدى هذا الزواج إلى تشتت الأسرة وتفتتها. أخرج (حامد) من يافا وهو لم يتجاوز عشر سنوات مع أخته الشابة (مريم) البالغة من العمر عشرين عاماً، ومعهما خالتهما العجوز، بينما تبقى الأم منتظرة قارباً آخر على أمل اللحاق بهم، لكنها لم تتمكن من ذلك.

يتحمل (حامد) أعباء الأسرة؛ حيث يعمل في مدرسة اللاجئين معلماً، وتعلم الأسرة بواسطة الإذاعة أن الأم ما تزال على قيد الحياة في الأردن، وتعيش عند شقيقتها، وتبادل معها الرسائل، ويكبر حامد رافضاً الزواج أملاً في تحقيق حياة أفضل، ويرفض -أيضاً- زواج أخته إلا برجل جدير بها، لكنه يفاجأ بأن أخته التي وهبها حياته حامل في عمر السادسة والثلاثين سفاحاً من زكريا زميله في المدرسة، الذي لا يحمل (حامد) له احتراماً، فكرياً في نظره خائن وذليل وجبان يسقط في أول اختبار حينما يرشد بمعلومات عن الفدائي سالم بعد تهديد الضابط الاسرائيلي له.

يأمر الضابط الاسرائيلي جنوده بأن يطلقوا النار على الجميع في معسكر اللاجئين، فينطلق زكريا من بين الصفوف راكعاً أمام الضابط، ليدهم على سالم، لكن سالم سرعان ما يتقدم مُسَلِّماً نفسه، وبعد دقائق يسمع الناس صوت الرصاص، فيتوقعون استشهاد سالم.

لم يستطع (حامد) أن ينسى لزكريا ما فعله، ولم يتحمل فعلة أخته، فقرر ترك المنزل والذهاب إلى أمه في الأردن عبر الصحراء، فبدأ رحلته بلا دليل وبلا سلاح، وفي قلب الصحراء يفاجأ (حامد) بجندي اسرائيلي ضل طريق دوريته، مستدلاً على ذلك بمسدس الإنقاذ الذي كان يطلقه، كي يعرف أصدقاؤه طريقه، فبياغت (حامد) الجندي خاطفاً سلاحه بعد أن يرمي الجندي أرضاً، ويمضي (حامد) الليل أمام الجندي بعد أن قيده، مستعرضاً ماضيه وحاضره، ثم يعتزم قتل الجندي وفي نفس الوقت تقضي أخته (مريم) على زوجها (زكريا) بالسكين؛ لأنه يصر على إسقاط جنيها ويسميتها الفاحشة والشيطان (ميرحق جو لنكرودي وجمازكي، 1389 هـ.ش: 158)

لم تأخذ الرواية الشكل التقليدي بتطور الأحداث وتسلسلها، بل بنيت على حدث تتقاطع فيه الأمكنة والأزمنة وتتوافق وتتوازى تلك الأحداث، قام كنفاني بخلق شخصيات روايته بعد ملاحظته الدقيقة لأنماط سلوك ونفسيات الأشخاص العاديين الذين يراهم ويتعامل معهم في يومه العادي، واستطاع غسان إلباس تلك الشخصيات ثوب الخلود في الساحة الأدبية العظيمة، لأن تلك الشخصيات تجاوزت صفحات النقد ليتحدث الناس عنهم وكأنهم أشخاص حقيقيين كانوا بالفعل معهم.

4-2. فيلم السكين

أنتج فيلم "السكين" المقتبس من رواية "ما تبقى لكم" عام 1971م بواسطة مؤسسة السينما السورية، وهو فيلم روائي طويل أسود وأبيض، ومدته 87 دقيقة، وقام بالتمثيل فيه سهير المرشدي، ورفيق سبيعي، وبسام لطفي، وناجي جبر، وتصوير: جورج لطفي الخوري، وموسيقى: صليحي الوادي، وسيناريو وإخراج خالد حمادة. وتعكس قصة هذا الفيلم جانباً من مأساة الشعب الفلسطيني من خلال ثلاث شخصيات أساسية: (حامد، مريم، زكريا). حامد الشاب الحالم تصفعه في بداية حياته خيانة أخته مريم مع زكريا، الرجل الحقيير المتعاون مع المحتلين. يغادر حامد بلده غزة إلى الضفة الغربية عن طريق الصحراء للالتحاق بأمه الموجودة هناك منذ عام 1948. وخلال مسيرته في الصحراء يلتقي بجندي إسرائيلي ضائع وعند هذا اللقاء تأخذ حياته مجرى آخر، حيث يقوم بقتل الجندي في رمز للخلاص من العار عن طريق المقاومة المسلحة للمحتل، بينما أخته المغتصبة على الجانب الآخر تقتل زوجها الذي اغتصبها قبل الزواج.

4-3. منهج البحث:

استخدم الباحثون في دراسة موضوع "الاقتباسات السينمائية من روايات غسان كنفاني على أساس نظرية ديورا كارتمل" المنهج البيني أو التكاملي. وهذا المنهج يجمع بين عدة تخصصات أكاديمية ونهج بحثية مختلفة لإجراء تحليل شامل ومتكامل للموضوع. وفيما يلي تفصيل للمناهج والمقاربات المستخدمة في هذه الدراسة:

1- الأدب المقارن: يعد الأدب المقارن أحد أهم المناهج المستخدمة في هذه الدراسة. حيث يتم تطبيق نظرية الأدب المقارن التي قدمتها ديورا كارتمل لفهم العلاقة بين الأدب والسينما. ومن خلال هذا المنهج، يتم استكشاف كيفية اقتباس رواية "ما تبقى لكم" لغسان كنفاني وتحويلها إلى فيلم "السكين"، وفهم الخيارات الإبداعية التي يقوم بها المخرجون وكتاب السيناريو في نقل النص الأدبي إلى وسيط بصري.

2- الدراسات السينمائية: يتم استخدام منهج الدراسات السينمائية لتحليل الاقتباسات السينمائية من رواية "ما تبقى لكم" لغسان كنفاني، وفهم كيفية استخدام العناصر السينمائية في نقل رسالة الرواية الأصلية بصرياً.

3- المنهج التاريخي: نظراً لأن رواية "ما تبقى لكم" لغسان كنفاني تتناول القضية الفلسطينية ومعاناة الشعب الفلسطيني، يتم استخدام المنهج التاريخي لفهم السياق التاريخي والاجتماعي والسياسي الذي كتبت فيه هذه الرواية، ويشمل ذلك استكشاف الموضوعات الرئيسة في أدب كنفاني، مثل الهوية والتهجير والصراع من أجل الحرية.

تستخدم الدراسة منهجاً بينياً يجمع بين عدة تخصصات ومناهج بحثية لتحليل اقتباسات روايات غسان كنفاني بناءً على نظرية ديورا كارتمل. ويوفر هذا النهج نظرة شاملة ومتكاملة لفهم العلاقة بين الأدب والسينما في سياق الأدب الفلسطيني، واستكشاف الخيارات الإبداعية والسياق الثقافي المحيط بهذه الاقتباسات.

5. الدراسة التطبيقية للاقتباس السينمائي في ضوء نظرية ديورا كارتمل "رواية ما تبقى لكم" نموذجاً:

يمكن تصنيف الاقتباس الفيلمي من رواية "ما تبقى لكم" إلى:

5-1. الاقتباس المباشر أو الوفي:

يبدو أن مخرج فيلم "السكين" التزم في معظم مشاهد الفيلم بالاقتباس الوفي إلا في النزر اليسير من المشاهد التي لا تتعدى كف اليد، وعلى ذلك فقد حضر الاقتباس الوفي بكثافة في الفيلم، ولم يطرأ التغيير إلا في اللغة التي استبدلت الفصحى باللهجة الفلسطينية.

ويبدأ الاقتباس الوفي من الرواية ففي مشهد عقد قرآن زكريا ومريم؛ حيث يجلس حامد مع الشهود في قاعة بسيطة مع المأذون لكتابة عقد الزواج لأخته و يقول: "كرر ورائي: زوجتك أختي مريم - زوجتك أختي مريم - على صداق قدره - على صداق قدره - عشرة جنيهات - عشرة جنيهات - كله مؤجل - كله مؤجل". (كنفاني، 2014: 10)

وهنا يظهر المجلس في قاعة بسيطة والكل يجلس في حالة من الحزن دون وجود أي مظهر من مظاهر الفرح وكأنه يعبر عن صورة تسليم أرض فلسطين للعدو في زواج أخته مريم من زكريا الخائن الذي باع وطنه وخان مبادئه، وقد استخدم الفيلم سيرورة الشخصية، حيث احتفظ بأسماء الشخصيات كما جاءت بالرواية، كما استخدم سيرورة المكان حيث مكان عقد القران.

ويستمر الفيلم في الاقتباس الوفي عن طريق الفلاش باك حيث يتذكر حامد غضبه من أخته فيتخيل أنه يقتلها ليتخلص من العار الذي لحق به وعبر غسان عن هذا المشهد قائلاً: (وهما كان يلجأ إليه كلما اجتاحتها حمي الغيظ: يحمل سكيناً طويلة ويندفع إلى سريرها يكشف وجهها فتفتح محجريها تاركة الجنون يطل منهما). (المصدر نفسه، 13) إن مشهد الغرفة المعتم الذي يعبر عن حالة الغضب وصوت الموسيقى الذي يثير شعور الضيق والكراهية يشعر المشاهد بحالة حامد تجاه أخته مريم التي سلمت نفسها بكل سهولة لزكريا مع علمها بخيانتها وتظهر مريم مصدومة من فعلة أخيها و كأنها تريده أن يستسلم، ويرضى بهذا الواقع المؤسف و كأن المخرج ينهنا لصورة الكثير من ضعاف النفوس الذين رضوا بالاحتلال و عليهم تقبله و قد استمر المشهد ستا وثلاثين ثانية .

ومازال المخرج يستخدم الاقتباس الوفي حيث يعبر عن حوار مريم مع زكريا أثناء فعلهم للفاحشة حيث تظهر صدمة مريم من زكريا الذي كان يطلب منها التخلص من الجنين ويقول لها: (أنت مجنونة، صديقي! تفتكين بشبابك من أجله، وغدا ستلعينه وتلعين أباه والساعة التي لم تستمعي فيها إلي النصيحة، ستحولين إلى امرأة مترهلة بطن منقوش كأنه مصاب بالجدري". (المصدر نفسه، 34)

هنا الصورة معبرة عن الخيانة التي قدمتها مريم في البداية ومازالت تقدمها لكريا على أمل أن يتزوجها ولكن خيانتها مستمرة حيث يريد التخلص من الجنين ليستمتع بخيانتها معها و هذه مشكلة من يتواطأ مع المحتل يعتقد أنه سيعيش في سلام وهدوء مع المحتل ولكن المحتل يقدم له كل يوم مفاجأة جديدة تقلب الموازين فالصورة تقدم مشهد غرامي ينقلب إلى كابوس.

ويستخدم المخرج الاقتباس الوفي الذي يظهر حالة الفرار فنجد صورة المركب نهارا مع تكديس الفلسطينيين الهاربين من وطنهم مع منظر البؤس الذي يملأ الوجوه ونجد الحوار الذي دار بين مريم و حامد وهو صغير السن ودار الحوار كالتالي: "مريم هل أنت مريضة؟ كلا ولكن أين أمك؟

تركت على الشاطئ وستلحق بنا، خالتك هنا معنا. كان صغيرا وشجاعا بصورة لا تصدق، وقد ظل ينظر بعينه الحادتين إلى كل الرجال نظرة الند، وهو ماتصق في كأنه درع صغير من الفولاذ يرصد سن الرمح". (المصدر نفسه، 36)

هذا المشهد الخارجي في البيئة الفلسطينية يعبر عن حالة الفرز خلال هروب الفلسطينيين من ديارهم مع نسيان ذكرياتهم وتاريخهم حتى أقرب الناس لهم حيث ترك حامد أمه ولكن نجد مع المشهد صورة الهزيمة التي أصابت الكبار ولكن الصغار ممتلئون بروح التحدي والدفاع عن الأرض وهذا ما وصفه غسان بصورة معبرة و لكن مع هذا يحتاج إلى الحزن الدافئ وهو أرض الوطن الذي يتمثل في أخته مريم.

ويظل المخرج معتمدا على الاقتباس الوفي ولكنه وضع الحوار بين مريم وكريا حيث تجلس في غرفة صغيرة مرتبة، تعبث بشعرها ويدخل زكريا ويتحدث عن عدم أهمية انتظارها لحامد فيقول:

"هل ستنظرين وصله جالسة؟

نعم كما يبدو.
ولكنه بالنسبة لك، لن يصل أبدا.
كيف؟

لن تعلمي أبدا عن وصوله، كيف ستعرفين أنه وصل؟
سيكتب لي، هكذا قال". (المصدر نفسه، 43)

من هذا المشهد نجد صورة معبرة عن المحتل الذي يتمنى ويحاول بكل الطرق أن يجعل أهل الأرض ينسون القضية ويعيشون في ظل الاحتلال منهمكين ضائعين دون البحث عن سبل الحرية كما تفعل مريم وهي تنتظر أخاها الذي سيوثق الزواج ليخفي خطأها.

ويظهر الاقتباس الوفي المعتمد على سيرورة الثابت في الحدث والشخصية والزمان والمكان، ولكن هنا حامد يحدث نفسه بعد النظر للساعة التي تعتبر شخصية من الشخصيات الهامة في الرواية ويبدأ حامد في الحديث مع نفسه.

في هذا المشهد تظهر الساعة في الخلفية والضوء خافت يدل على الوحشة والساعة تدخل في الثانية عشر ليلا ولكن وصف غسان رائع في اقتراب عقارب الساعة وكأنه يقص علينا مشهد الخيانة الذي تم بين مريم و زكريا ومع وصف الساعة بالبياض وكأن الاحتلال هو النقطة السوداء في البياض الناصع لفلسطين.

في مشهد آخر مازالت سيرورة الثابت للاقتباس الوفي الذي مازال المخرج يسير فيه ليعبر عن صدمة جديدة في القضية التي تعبر عن مواجهة حامد للمحتل وهي مواجهة مباشرة جديدة لحامد حيث يصف حامد ويتكلم: "وتنفس الصعداء ولكن المفاجأة كانت قد شلته، فاحتفظ بجسده مطروحا كما كان، فيما مضى يتحدث دون انقطاع، مكررا جملة واحدة مرة وراء الأخرى. ثم جلس بهدوء وأخذ يمسح التراب من بين أسنانه. (المصدر نفسه، 59)

يظهر المقطع في ليل حالك يعبر عن قوة المستعمر في سيطرته على الأرض وضعف صاحب الأرض ولكن عند تعثر المحتل على الأرض يمسك بالسلاح ويواجهه مواجهة مباشرة ليعبر عن تطور شخصية حامد في مواجهة المحتل، وهنا تتطور الحبكة الدرامية، فنجد حامد يمثل صورة المدافعين عن الوطن فتطورت الشخصية من الضعف إلى المواجهة.

من هذه الصورة ينقلنا المخرج إلى المنزل مرة أخرى حيث زكريا ومريم كانا في غرفة الجلوس نهارا ودار الحوار بينهما حول صعوبة إنجاب طفل آخر ينضم إلى أطفاله الخمسة من زوجته الأولى، وهو يعاني من إطماعهم ومن إطماع مريم وزوجته الأولى، ويتحدث قائلاً: "سنة أفواه على أن أطعمها. ثم أنت وهي أيضا. إن هذا كله يحتاج إلى معجزة. آه منكن جميعا، تعتقدن أن هذا هو مرتبط الرجل! هذه هي قطعة اللحم التي تشده إليك!". (المصدر نفسه، 78)

إن هذا المشهد الذي يعبر عن ضعف مريم و سطوة زكريا استخدم فيه المخرج الاقتباس الوفي واعتمد على صيرورة الثابت ولكن المشهد من خلال المنزل الذي يعبر عن الأمان يصبح المكان الموحش الذي يظهر حقيقة زكريا الذي يتمنى أن يتخلص من الجنين التي يحيا حياة سعيدة مع مريم دون قيد أو شرط و هي فكرة من فكر الاحتلال الذي يحصل على كل شيء ولا يعترف أو يقر بشئ لأصحاب الأرض بل يعتمد استغلالهم، وهذا ما جعل المخرج يكون مبدعا عند عرض مشاهدته فهو يربطها بتحركات حامد مع العدو والصراع الدائر بينهم ولكن حامد كان أكثر تعقلا مع العدو. وفي هذا المشهد مازال المخرج مبدعا لربطه حدث الصراع بين (مريم وزكريا) و(حامد والعدو) حيث نجد مريم في هذا المشهد تتخلص من زكريا بعد العنف الذي وجهه له وهنا تتخلص مريم من زكريا وهذا ما عبر عنه غسان كنفاني قائلاً: "وفي اللحظة التالية جذبني إليه، ثم دفعني إلى الجدار وقبل أن يستدير ارتطمت بالحائط ولمعت بنصلها الطويل المتوقد، فوق الطاولة فردني الجدار إليها كأنني لعبة مطاط". (المصدر نفسه، 87)

وهنا صيرورة الثابت حيث هما في المنزل نهارا ولكن مريم تبدأ في الانتقام من زكريا والتخلص منه ورد شرفها واعتبارها بعد هجوم زكريا المتوالي عليها بأقبح الألفاظ وكأنها تمثل فلسطين الحرة الأبية التي تقتل العدو وتتخلص منه مهما طال الزمن ومهما ضعفت أمام سطوة العدو ولهذا كان المشهد معبرا رؤية غسان كنفاني وهذا ما جعل المخرج مبدعا لأنه عبر بالصورة والصوت عن مراد غسان بقوة.



وفي المشهد الأخير يتخلص حامد من العدو بنفس سير الأحداث الذي تخلصت فيه مريم من زكريا حيث يقول غسان كنفاني على لسان حامد: "فأدركت أنه سيكون بوسعي ذات لحظة أن أجز عنقه دون رجفة واحدة، وأن هذه اللحظة ستأتي لا محالة، تحت وقع البريق الرعوب في عينيه، وصرير نصل السكين فوق حذائي، والشمس اللاهبة التي كانت تجلد مؤخرة عنقي بلا هوادة" (المصدر نفسه، 83) وتعتبر الصورة التالية عن هذا المشهد.

هنا في الصحراء القاحلة وفي وضوح النهار يظهر متخلصا من عدوه وهنا المخرج اعتمد على الاقتباس الإبداعي من ناحيتين وهما: الناجية الأولى هنا استخدم التقديم والتأخير حيث اختتم فيلمه بقتل حامد للعدو في حين غسان أنهى روايته بالمشهد رقم 13 الذي تخلصت فيه مريم من زكريا وهنا أراد المخرج أن النهاية في يد الواقع بأننا عندما نتخلص من عدونا الداخلي سوف نتخلص من المحتل.

ومن جهة ثانية، فقد أنهى غسان روايته بسماع صوت الكلاب الناجحة في الطريق التي لن تصمت حتى يتخلص الوطن من أثار الاحتلال فمريم لن تنتهي قصتها إلا بموت الجنين، والوطن لن تنتهي قصته إلا بخروج العدو الغاصب.

5-2. الاقتباس الحر أو الإبداعي:

تجلى الاقتباس الإبداعي في فيلم السكين المقتبس عن رواية "ما تبقى لكم" في مشهدين ممثلا حضورا نادرا، يعبر عن التزام الفيلم بتقديم الرواية من خلال رؤية مؤلفها. لكن الأمر لا يمنع من وضع لمسة للمخرج يضع فيها رؤيته، حيث يبدأ الفيلم باقتباس إبداعي، حيث يظهر جمال غزة وشاطئها وصوت الأمواج الغاضب الذي يعبر عن صرخة فلسطين الضائعة في غياهب الاحتلال ويمثل الزمن دورا في هذا المشهد، حيث كان الوقت في الصباح.

لقد اعتمد المخرج على رؤيته الإبداعية مستخدما الاقتباس الإبداعي الذي يجعل المشاهد يشعر بجمال غزة من خلال رؤية منظر البحر ثم استماعه لصوت الأمواج المتلاطمة، حيث يتطرق كنفاني في روايته إلى ذلك، وإنما عبر بصورة

مختلفة عن ضياع غزة بمشهد صامت ملئ بالحزن والأسى يحمل بين طياته الإحساس بالعار من الاحتلال، واستغرق المشهد مدة 40 ثانية إلى أن يظهر البطل حامد يسير في شاطئ البحر.

لقد شكل الزمن والمكان في المشهد الافتتاحي للفيلم عنصرا هاما من عناصر المحكي الفيلمي، حيث أنهما يمثلان "عالم الفيلم السينمائي، حيث يحيا البشر وتبرز الأحداث وكلها تتحرك وتمتلك كينونتها الخاصة. وبسبب اتساع المفهوم، فإن العنصرين يبدوان متحدتين". (مارتن، د.ت، 34)

وتحدث نقلة إبداعية حيث غسان ما زال يتكلم عن الصراع النفسي الذي يعيشه حامد أمام الجندي المحتل ويذكرنا بقصة زكريا مع ضابط الاحتلال الذي وشى بسالم، ولكن مخرج الفيلم انتقل لمشهد جديد يعبر عن حيرة مريم بعد تركها لفراش زكريا وخوفها على أخيها حامد.

في هذا المشهد يظهر الاقتباس الإبداعي للمخرج حيث وضع لنا صورة حامد في الصحراء ومع شروق الشمس وتتطلع للأوراق الخاصة بالمحتل ووضعها بجيبه ولكن حامد صامت لا يتحدث بل سار في الصحراء ممسكا بسكينه الذي أخذه من المحتل وممسكا بها بقوة وينظر للسماء كأنه ينتظر شيئا ولكن المخرج حذف الحوار الذي دار بين حامد والجندي وفضل الصمت الذي عبر عن حيرة حامد أمام الجندي.



فحامد كما في المشهد بدأ يتطلع الجوانب الأربعة بالصحراء ممسكا بسكينه وكأنه مدافع عن وطنه متذكرا للمذابح التي دارت وقد ذكرها غسان ليعبر لنا عن بشاعة العدو ولكن المخرج استخدم آلية الحذف لهذه المذابح التي ذكرها غسان، وحذف الحوار الذي دار بين حامد والجندي.

6. خاتمة

أسفرت الدراسة عن عدة نتائج تتمثل في:

- 1- إظهار الاقتباس السينمائي من رواية "ما تبقى لكم" العلاقة الوطيدة التي تجمع بين السينما والرواية، وهي علاقة تعتمد على الاقتباس مباشرة، أو بإجراء تغييرات على نص الرواية الأصلي.
- 2- جاء الاقتباس الوفي -في فيلم "السكين" المأخوذ من رواية "ما تبقى لكم"- كثيرا، ليدل على التزام الفيلم بتوصيل رؤية مؤلف الرواية إلى المشاهد.
- 3- جاء الاقتباس الإبداعي بقلّة متناهية في فيلم "السكين"، حيث لم يرد إلا في مشهدين فقط.
- 4- أظهر الفيلم السينمائي "السكين" السياق السياسي والاجتماعي للمجتمع الفلسطيني، من خلال الرموز التي استخدمها، فمرّيم تشير إلى أرض فلسطين المغتصبة، وأخوها يشير إلى شباب المقاومة، الذي لا بد أن يتخذ طريق الكفاح المسلح الذي اختاره الفيلم نهاية له.

التوصيات:

توصي الدراسة بما يلي:

- 1- توجيه الباحثين نحو إجراء المزيد من الدراسات حول المحكي الفيلمي المقتبس من المحكي الروائي في روايت غسان كنفاني.
- 2- دراسة الأنساق الثقافية لروايات غسان كنفاني.

7. قائمة المراجع

- أبو هيف، نجيب (2012م). فن الاقتباس السينمائي: تحليل نظرية دبورا كارتمل، القاهرة: دار النهضة العربية.
- الأزدي، عبد الجليل (2018م). الأدب والسينما، عمان: دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع.
- بون، شتيفان فيلد (1992م). الفلسطيني في أعمال غسان كنفاني الأدبية، مجلة الكاتب، ع: 145 ، القاهرة.
- توفيق، رفيق (2014م). الواقعية في أدب غسان كنفاني، عمان: دار الحافظ.
- عبد الناصر، سامي (2015م). تحليل نصوص الأفلام وفقاً لنظرية دبورا كارتمل. القاهرة: دار الثقافة الجديدة.
- قاسم، محمود (1988م). قراءة مقارنة بين الأدب والسينما، مجلة البيان، رابطة الأدباء الكويتية، العدد 333، الكويت.
- كنفاني، غسان (1987م). العاشق، برقوق نيسان الأعمى والأطرش، ط 3، بيروت: مؤسسة الأبحاث العربية.
- كنفاني، غسان (2014م). ما تبقى لكم، الطبعة الثانية، قبرص: دار منشورات الرمال.
- كنفاني، غسان، (2000م) غسان كنفاني صفحات كانت مطوية، دمشق: دار الشموس.
- ميرحق جو لنكرودي، سعيدة وجمازكتي، فاطمة (1389هـ.ش). دراسة في رواية ما تبقى لكم لغسان كنفاني، فصلية دراسات الأدب المعاصر، العدد السادس، جامعة جبرقت الحرة، إيران.
- نعيمة، جيهان (2008م). الرواية والسرود السمعية والبصرية (الرواية والسينما ... مسارات مقارنة)، ضمن أعمال الندوة الرئيسية لمهرجان القرين الثقافي الحادي عشر، الكويت، ص 205.
- Cartmel, D. (2012). A Companion to literature, Film and Adaptation, Wiley-Blackwell.